مقدمة :

تعتبر قضية الألوهية من القضايا الشائكة والتى قد يكثر فيها الذلل ويسهل الخطأ، وذلك لأن البحث فى هذه القضية يتعلق بأمور غيبية غير محسوسة يصعب التعبير عنها بالألفاظ ، وقد حظيت هذه القضية بإهتمام العلماء قديمًا وحديثًا خاصة ما يتعلق منها بذات الله تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته ، وإذا كان الحديث عنها مجالاً لجدل عنيف حصل بين طوائف الأمة الإسلامية ، خاصة بعد ظهور مدرسة علم الكلام والتى كانت بدعة ممقوتة من جانب علماء السلف نظراً لأنه يبعد بأصحابه عن المصدر الأصلى للعقيدة الإسلامية والمتمثل فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

وبدراسة موقف الشيخ أحمد زروق من تلك القضية سيوضح إلى حد كبير رأيه فى الألوهية توحيدًا وتنزيهًا ، ذلك لأن تصور الألوهية يقوم على أصلين هما: التوحيد والتنزيه .

أولاً :التوحيد لدى الشيخ أحمد زروق .

قبل الحديث عن التوحيد وأقسامه لابد من تعريفه لغةً وإصطلاحًا .

*** التوحيد لغةً: التوحيد فى اللغة الحكم بأن الشئ واحد أو العلم بأنه واحد يقال منه وحدته أى وصفته بالوحدانية، كما يقال شّجعته أى وصفته بالشجاعة. [١]**

*** التوحيد إصطلاحًا: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصوف فى الأفهام ويتخيل فى الأوهام والأذهان ومعنى كون الله تعالى واحدًا نفى الإنقسام فى ذاته ونفى الشبه والشرك فى ذاته وصفاته، والتوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية ، والإقرار بالوحدانية ، ونفى الأنداد عنه جملة. [٢]**

والتوحيد هو إفراد الحق تعالى بالقصد والعبادة ، فإن كان ذلك إعتقاداً يقال للعبد مؤمن بالتوحيد ، وإن كان علماً من أدلة يقال له عالم بالتوحيد وإن كان لغلبة الحق على القلب واستيلائه عليه يقال أنها عارف بربه، والتوحيد هو الإيمان بالله تعالى ، والتوحيد

([١]) د. رفيق العجم : موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامى – مكتبة لبنان ناشرون– بيروت– لبنان– ط١– ١٩٩٩م– صـــ٢٢٨.

([٢]) الجرجانى : معجم التعريفات – تحقيق محمد صديق المنشاوي – دار الفضيلة – القاهرة – ٢٠٠٤م– باب التاء مع الواو –صـــ٦٢.

بالله تعالى درجات ومقامات، ليس إيمان موسى كإيمان بنى إسرائيل ولا إيمان عيسى كإيمان تلميذه ولا إيمان أخر الأنبياء كإيمان أبناء أخر الزمان، هذه الفروق فى المقامات هى التى دفعت بعض العارفين بالله إلى اعتبار التوحيد درجات، توحيد العوام ، توحيد الخواص ، توحيد الصفوة.[١]

ينقسم التوحيد عند المتكلمين والفقهاء إلى قسمين توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية وتقسيم التوحيد إلى الربوبية والإلهية ليس بدعه بل حكاه الطبرى وغيرهم عن أهل العلم قبل ابن تيمية بمئات السنين فقد قال فى تفسير قوله تعالى (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)[٢] أى فأعبدو ربكم الذى هذه صفته وأفردوا له الربوبية والألوهية ، وكذلك قوله تعالى (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)[٣] أى الذى فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم هذه النعم هو الله الذى لا تنبغى الألوهية إلا له وربكم الذى لا تصح الربوبية لغيره ، وفى تفسير قوله (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[٤] قال "كانت العرب تقر بوحدانية الله غير أنها كانت تشرك فى عبادته" فالتقسيم دليل من كتاب الله كتقسيم الأحكام إلى فرض واجب ومسنون ومباح ومكروه ومحرم وليس فى ذلك نص وإنما هو مستفاد من نصوص الشرع ، بخلاف التقسيمات المخالفة للنصوص الشرعية كتقسيم البدعة إلى بدعة واجبة وبدعة

وقد قصرها النبى (ﷺ) على واحدة " كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار"[٥].[٦]

---

[١] أحمد بهجت : الله فى العقيدة الإسلامية – رسالة جديدة فى التوحيد – مركز الأهرام للترجمة والنشر – القاهرة – ط٣ – ١٩٨٦م – ص١٥٨.

[٢] سورة يونس : جزء من الآية (٣).

[٣] سورة غافر : آية (٦٢).

[٤] سورة البقرة : جزء من الآية (٢٢).

[٥] حديث شريف : أخرجه أحمد فى مسنده – ج٣ – صـ٣١٠ ، ومسلم فى صحيحه – ج٢ – صـ٥٩٢ .

[٦] عبدالرحمن سعيد : موسوعة أهل السنة فى نقد أصول فرقة الأحباش ومن وافقهم فى أصولهم – المجلد الأول – دار المسلم للنشر والتوزيع – الرياض – ط١ – ١٩٩٧م – ص١٤٦ .

١- توحيد الربوبية:

هو إفراد الله سبحانه بالحق والملك والتدبير[١] ، قال الله تعالى : (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)[٢] وقال تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) [٣]، فهو توحيد فطرى ، فطر الله العباد عليه ، سواء منهم المؤمنون والكافرون حين استخرجهم من ظهر أبيهم أدم (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) [٤] فمن جحد بوبية الله فقد جحد ما استيقنه قلبه كما حكى الله عن فرعون وقومه (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) [٥] وقال موسى لفرعون (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ)[٦] فأعتقاد أن الله هو الخالق الرازق وحده من المسلمات الفطرية ولذلك يخطئ من يفنى عمره فى استخراج الأدلة على إثبات وجود الله لأن الدليل على ذلك مركوز فى الفطرة .[٧] فكل مخلوقات الله تعبده تعالى وفقاً لمشيئته ، وكل شكل من أشكال العبادات تعبر عن بعض جوانب من طبيعته . الشيطان نفسه يمجد الله ، بقدر عصيانه له ، فهو تابع لإرداة الأبدية.[٨]

٢- توحيد الألوهية:

هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه.[٩]

---

[١] أبو عبد الله عامر عبد الله فالح : معجم ألفاظ العقيدة – تقديم: فضيلة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن جبرين – مكتبة العبيكان- الرياض – ط١ – ١٩٩٧م – حرف التاء (مادة توحيد) – صـ ١٠٤.

[٢] سورة الزمر : جزء من الآية (٦٢).

[٣] سورة الأعراف : جزء من الآية (٥٤).

[٤] سورة الأعراف : جزء من الآية (١٧٢).

[٥] سورة النمل : جزء من الآية (١٤).

[٦] سورة الإسراء : جزء من الآية (١٠٢).

[٧] عبدالرحمن سعيد : موسوعة أهل السنة فى نقد أصول فرقة الأحباش ومن وافقهم فى أصولهم – مرجع سابق – ص١٥٤ .

[10] R.A.Nicholoson : Studies in Islamic Mysticism – Cambridge – press – 1921 – P.99 .

[٩] أبو عبدالله عامر عبدالله فالح : معجم ألفاظ العقيدة – حرف التاء (مادة توحيد) – مرجع سابق – صـ ١٠٤.

وتوحيد الألوهية يدخل فيه توحيد الربوبية ، بمعنى أن من أفرد الله بالدعاء والطاعة والإمتثال والخوف والرجاء فلابد أن يكون معتقداً بتوحيد ربوبية الله بالخلق والإيجاد وأنه لا خالق إلا هو وأن من أتى بتوحيد الألوهية لا يطلب منه أن يأتى بتوحيد الربوبية لأن الثانى داخل فيه .[١] فهو رب كل شئ وخالقه ، والقادر عليه ، لا يخرج شئ عن ربوبيته ربوبيته وكل من فى السموات والأرض عبد له فى قبضته ، وتحت قهره ، فاجتمعوا بصفة الربوبية ، وافترقوا بصفة الإلهية ، وأقروا له طوعاً بأنه الله الذى لا إله إلا هو ، الذى لا تنبغى العبادة والتوكل ، والرجاء والخوف ، والحب والإنابة ، والخشية والتذلل والخضوع إلا له . فالدين والشرع ، والأمر والنهى ، مظهره ، وقيامه : من صفة الإلهية ، والخلق والإيجاد والتدبير والفعل : من صفة الربوبية ، والجزاء بالثواب والعقاب والجنة والنار : من صفة الملك ؛ وهو ملك يوم الدين ، فأمرهم بإلهيته ، وأعانهم ، ووفقهم وهداهم ، وأضلهم بربوبيته ، وأثابهم ، وعاقبهم بملكه وعدله وكل واحدة من هذه الأمور لا تنفك عن الأخرى .[٢]

ويتضمن الإعتراف بالوحدة الذاتية للإله الحق والإيمان العميق بها ، أن المسلم فى هذا الموطن مكلف بأن ينفى الألوهية عما سوى الله ويخصه بالوجود المطلق الذى لا يشاركه فيه سواه ، فهو تعالى واحد بمعنى : أنه لا ند له ولا شريك ولا ضد ، فهو واحد أحد فرد صمد ، قال تعالى : " أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ "[٣] . وقال تعالى : " وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ "[٤] . ويتصل بتوحيد الألوهية ، إخلاص النية لله لله فى الأعمال ، دينيه ودنيويه ، بإعتبارها الدافع والحافز لها جميعاً ، ومن ثم صارت النية مقياس الرفض والقبول فى الأعمال ، قال تعالى : " فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

---

[١] عبدالرحمن سعيد : موسوعة أهل السنة فى نقد أصول فرقة الأحباش ومن وافقهم في أصولهم – مرجع سابق – صـــ١٥٥ .

[٢] ابن القيم الجوزيه : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وأياك نستعين – تحقيق : شعيب الأرنـــؤوط – مصطفى شيخ – مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت – لبنان – ط١ – ٢٠١٠م – صـــ٣٣ .

[٣] سورة هود : آية (٢) .

[٤] سورة الإسراء : جزء من الآية (٢٣) .

عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا "[1] وقال (ﷺ): " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " .[2]

ولهذا الربط المحكم بين العمل والنية الباعث عليه أهميته إذ بموجب هذا الترابط صار النشاط الإنسانى عموماً مما ينطبق عليه معنى العبادة ووجوب خصه تعالى بها .[3]

ويدخل فى المطالب الإلهية أيضاً الإيمان بقدر الله السابق وقضائه النافذ ، وأنه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن . وأن ما أصاب العبد فى علم الله لا يخطئه ، وما أخطأه فى علمه لا يصيبه ؛ إذ لا يقع شئ فى ملكه دون قدره وقضائه وفعله وذلك لقول الله تعالى : " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"[4] ، فإيمان العباد بهذه المعانى من معانى الربوبية ، أى : إفراده سبحانه فى ربوبيته ؛ كما فطر العباد على ذلك ، يُلزمهم هذا الإيمان أن يفردوه بأفعالهم كما إنفرد هو بأفعاله ؛ بحيث يدعونه وحده سبحانه ، ولا يشركون به شيئاً ، بل لا يعلقون قلوبهم إلا به ولا يلتفتون إلى أحد سواه بالمحبه والخضوع والتذلل ، بل لا يستحق كل ذلك إلا هو سبحانه.[5] وقد سئل يحيى بن معاذ الرازى[*] : فقيل له أخبرنا عن الله تعالى ، فقال : إله

---

[1] سورة الكهف : جزء من الآية (١١٠) .

[2] حديث شريف :رواه البخارى : كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث (١) ، ومسلم : كتاب الإمارة ، كتاب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنيات وأنه يدخل فى الغزو وغيره من الأعمال ، حديث (١٩٠٧).

[3] عرفان عبدالحميد فتاح:نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها- دار الجيل و بيروت- ط١- ١٩٩٣م-ص٢٨.

[4] سورة التوبة : آية (٥١) .

[5] محمد أمان الجامى : مجموع رسائل الجامى فى العقيدة والسنة – دار ابن رجب للطبع والنشر والتوزيع – المدينة المنورة – ط١- ١٩٩٣م – ص١٣-١٤.

(*) يحيى بن معاذ الرازى : هو أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى الواعظ ، أحد رجال الطريقة ذكره أبو القاسم القشيرى فى "الرسالة" وعده من جملة المشايخ وقال فى حقه " نسيج وحدة فى وقته ، له لسان فى الرجاء خصوصاً وكلام فى المعرفة ، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ، ورجع إلى نيسابور ومات بها" ومن كلامه : كيف يكون زاهداً من لا ورع له؟ تورع عمّا ليس لك ثم ازهد فيما لك ، توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين بنيسابور . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – المجلد السادس – تحقيق : د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ص ١٦٥ – ١٦٧ – رقم (٧٩٤). للمزيد انظر شمس الدين الذهبى : سير أعلام النبلاء – ج١٣ – تحقيق د. شعيب الأرنؤوط ، د. على أبو زيد – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ – ١٩٨٣م – ص ١٥. انظر أيضاً ابن الملقن : طبقات الأولياء – ص ٣٢١.

أحد ، فقيل : كيف هو ؟ فقال : إله قادر ، فقيل : فأين هو ؟ فقال : بالمرصاد ، قال السائل : لم أسألك عن هذا ، فقال : ما كان غير هذا صفة المخلوقين فأما صفة الخالق فالذى أخبرت عنه .[١] وقال الجنيد رحمه الله ، وقد سئل عن التوحيد ، فقال : إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الأضداد والأنداد والأشباه وما عُبد من دونه ، بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ، إلهاً واحداً صمداً فرداً ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.[٢]

٣- الألوهية و الربوبية عند الشيخ أحمد زروق :

عند الحديث عن الله عز وجل يميز زروق بين جانبين اثنين هما : الألوهية والربوبية . الأولى خاصة بالله كما هو هو كان ، ويكون ، وسيكون الله ، بكل مستلزمات الألوهية ، بصرف النظر عن خلقه للعالمين أو عدم خلقه لها . فى حين تعنى الثانية خلق شئ ما ، حتى يتحقق معنى الربوبية . ولأننا ندرك أن الله خلقنا من عدم فإننا نعرف تبعاً لهذا أننا مختلفون عنه إذ تعوذنا إحدى صفاته وهى " الخلق من عدم " ولذا فنحن نعتمد فى وجودنا عليه سبحانه ، ويصبح ضرورياً معرفة وضعنا بالنسبة إليه ، أى معرفة عبوديتنا فى مقابل ألوهيته . وهو يعبر عن هذا فيقول : فائدة الطريق ومقصودها إنما هو البحث عن تحقيق الحقيقة الإنسانية بالحقائق العرفانية . وذلك من وجوده ، لوجوده ، إذ له نسبة ربانية فى وجود كماله اللائق به ، وإلا فلا نسبة بين عبد ورب إلا من حيث إعتناء الرب بعبده . حيث أوجده من عدم وأمده بالنعم وخصصه بالكرم . فكان دليلاً عليه مدلولاً موصلاً إليه موصولاً .[٣]

---

[١] منصور محمد عويس : ابن تيميه ليس سلفياً – دار النهضة العربية – القاهرة – ط١ – ١٩٧٠م – ص١١ .

[٢] أبى نصر السراج الطوسى : اللّمُع – تحقيق : عبدالحليم محمود – طه عبدالباقى – دار الكتب الحديثة – القاهرة – ١٩٦٠م – ص٤٩ . وقد سئل على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه عن العدل والتوحيد فقال : التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه ففضح بما بهر إيجازه وقهر إعجازه . انظر: ابن الحسن على الماوردى الشافعى : أعلام النبوة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٦م – ص١٤ .

[٣] على فهمى خشيم : أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة– دار المدار الإسلامي– بيروت – لبنان– طـ ٣– ٢٠٠٢م– ص٢١٨ .

ومنذ البداية ، يقول الشيخ : تجب علينا معرفة أن الله مغاير تماماً لأى شئ نراه أو نفكر فيه أو نتصوره . وجوده متميز عن أى وجود آخر وكينونته لا تشبه أى كينونه أخرى . وأول ما يثبت هذا التميز أن الإنسان خلق من عدم بإرادة الله وحكمته كما جاء فى القرآن الكريم : "أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ"[١] والقدرة على الخلق قاصرة على الله وحده ، ويتبع هذا أن نجد أنفسنا فى موقف يحتم علينا التسليم له والرضا بكل ما يريد . وعلينا بعد معرفة هذه الحقيقة الجوهرية وفهم موقفنا أن نعمل طبقاً لهذه المعرفة وهذا الفهم، وهو ما يحتاج إلى نظرة أعمق وأشمل فى أنفسنا وفى الطبيعة استجابة لقول القرآن الكريم : "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ "[٢] . فالله هو الذى خلقنا وهو الذى يحفظ وجودنا ، ولإرادته المطلقة أن يفعل بنا وبالخلق كله ما يشاء . هذا عن الخلق والخالق ، وهى أخص صفات الله سبحانه فيما يتصل بالألوهية فى مقابل المخلوق.[٣]

وتبقى بعد ذلك " الربوبية " فى مقابل " العبودية " وهنا نجد أن زروق يقسم أوصاف الربوبية وأيضاً أوصاف العبودية إلى مقولات:

أوصاف الربوبية أربعة : هى ١-الغنى ٢- العز ٣-القدرة ٤-القوة ، والتعلق بها أن تكون ناظراً لها معتمداً عليها، دون أن تنظر لشئ سواها . وأوصاف العبودية أربعة: هى ١-الفقر ٢-الذل ٣-العجز ٤-الضعف ، والتحقق بها أن تراها لازمة لك ، فلا تنفك عن النظر إليها فى حال من أحوالك . ثم التعلق بأوصافه يقتضى التحقق بأوصافك ، والتحقق بأوصافك يقضى لك التحقق بأوصافه والتعلق بها ، لكن يختلف البساط ، فتارة يغلب عليك الغنى بالله تعالى ، وتارة يغلب عليك الفقر إلى الله تعالى ، فإذا غلب عليك الغنى بالله تعالى انبسطت بإحسانه ، وإذا غلب عليك الفقر إلى الله رجعت إليه بمواقف الأدب ، فالأول محل البسط والكرامات ، والثانى موقف الأدب والتعظيم .[٤]

---

[١] سورة النحل : جزء من الآية (١٧) .

[٢] سورة فصلت : جزء من الآية (٥٣) .

[٣] على فهمى خشيم : أحمد زروق والزوقية – مرجع سابق – ص٢١٩ .

[٤] أحمد زروق : شرح الحكم العطائية – تحقيق أبو سهل نجاح عوض صيام– دار المقطم للنشر والتوزيع– القاهرة– ط١– ٢٠١٥– ص١٤٧ .

فبقدر ما يظهر على العبد آثار الأوصاف الدالة على عجزه وفقره وذله وضعفه ؛ يتبين وجود غنى الحق وعزه وقدرته وقوته ؛ فبقدر ظهور آثار البشرية يقع ستر الخصوصية . ومن ظهور البشرية يتحقق وصف العبودية ، فتثبت الخصوصية للمختص . ليبين وجه عظمة الربوبية . لذلك قال الشيخ أبوالحسن رضى الله عنه العبودية جوهرة أظهر بهاالربوبية . فإذا تحقيق الخصوصية فى التحقق بالعبودية تبرك ما سوى الحق له وبه .[١]

وحين يقف الإنسان موقف العبودية قبل الرب فإنه بالتالى يتخذ موقف الإنعتاق أمام الأغيار وهو يتحرر من إعتبار الآخرين ساده مصيره أو موجهى حياته وقدره ، بمجرد إدراكه أن الربوبية هى لله وحده فيتجه بكل روحه إليه وهذا هو التحرر الحقيقى.[٢] وظهور وصفه عليك وتحليك به كما يليق بك بحيث تصير غنياً به عزيزاً به ، قادراً به ، قوياً به ،حتى تصير " باسم الله" منك ، موافقة "كن" ممن الله ، فلا تريد شيئاً إلا كان ، ولا تفتقر لشئ ولا تذل له ولا به ، ولا تضعف عن شئ ولا تعجز عن شئ بل تكون قادراً على كل شئ بمولاه ، غنياً به عن كل شئ ، عزيزاً به فى كل شئ ، قوياً به عند كل شئ ، لا يسوغ لك إدعاء شئ من ذلك ، بل يؤكد عليك الرجوع إلى وصفك ، والقيام معه من الفقر والذل والعجز والضعف ــ لأن ما بيدك عارية مجازية ، العارية مؤداه ، والمجاز مرفوع بالحقيقة ، فإلزم التذلل والإفتقار فى جميع أحوالك[٣].وذلك إن إقرارك بالعجز والفقر والذل والضعف يرجعك إليه ، فتصير قادرًا به قويًا به ، فيعود فقرك غنى ، وعجزك قدرة ، وضعفك قوة ، وذلك عزاً ، لأنك فى محل الأضطرار ، وهو يجيب المضطر ؛ وفى مقام الرضا والصبر ، وهو مع الصابرين .[٤] كما أن الصدق فى العبودية بإلتزام أحكامها فى كل وردٍ وصدرٍ ، هو عين القيام بحقوق الربوبية ، ومداره على أمور ثلاثة : التشمير للحقوق ؛ والإعراض عن كل مخلوق ؛ والإستسلام تحت جريان المقادير

---

[١] المرجع السابق – ص١٣٥ .

[٢] على فهمى خشيم : أحمد زروق والزروقية – مرجع سابق – ص٢٢٠ .

[٣]) أحمد زروق : شرح الحكم العطائية - مصدر سابق - ص١٤٨.

[٤] المصدر سابق – ص١٩٠ .

والأحكام . وقد يعبر عنه بإمتثال أمره والإستسلام لقهره ؛ أو يعبر عنه بالطاعة والغنى به عنها ، فكل صحيح واضح مليح .[١]

ثانياً:منهج الشيخ أحمد زروق فى الأسماء والصفات

١. منهجه فى الأسماء:

يشير القرآن فى كثير من آياته إلى أسماء لله يعرفه بها المؤمنون أو يدعونه بها ، وهى ما يعرف بـــ " الأسماء الحسنى " وقد شغلت مكاناً بارزاً فى تاريخ التصوف وكانت موضوعاً لعدد لا يحصى من المناقشات والمؤلفات عن طبيعة هذه الأسماء ومعانيها ومدلولاتها وخواصها والإنتفاع بها وقد خص الشيخ زروق كتاباً كاملاً لمناقشة هذه القضية من مختلف وجوهها . [٢]

فهو يقول إن الكلام فى الأسماء دار على خمسة أنحاء ، وهى جملة ما يحتاج إليه فى مبانيها اللفظية ومناحيها المعنوية، ومقتضياتها الوجودية، ووجوهها العرفانية، وخواصها الوجدانية ، ولكل فريق طريق.

– وأن الأسماء توقيفية فلا تثبت إلا بنص أو إجماع على الصحيح ، وأثبتها قوم بالإشتقاق من الأفعال والصفات وما جاء فى الصيغ من الدعوات وغيرها وهو مرجوح عند العلماء ملحوظ عند المتصوفة ، وعليه جرى الشيخ أبو العباس البونى [*] فى تقسيمها ، وإنتهى بها إلى مائة ونيف وخمسين . –

---

[١] المصدر السابق : ص١١١ .

[٢] على فهمى خشيم : أحمد زروق والزروقية – مرجع سابق – ص٢٢١ .

[*] أبو العباس البوني :هو أبو العباس أحمد بن على بن يوسف البونى القرشى المالكى ، فقيه ، متصوف ، له الكثير من التصنيفات منها " خواص الأسماء الحسنى " ، " إظهار الرموز وإبداء الكنوز " وغيرها من المصنفات فى علم الحروف ، توفى سنه ٦٢٢ هـــ . أنظر : مصطفى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون – المجلد الأول دار إحياء التراث العربى– بيروت– لبنان–د.ت– ص ١١٨:٧٢٦ .

أن الأسم عين المسمى ، وأباه قوم ، وفصل آخرون ، وتوقف آخرون ، إمتناعاً لكن السلف لم يتكلموا فى الأسم والمسمى ولا فى الصفة والموصوف، ولافى التلاوة والمتلو،طلباً للسلامة ، وحذراً على الغير وهو الورع. [١]

ثم قسم زروق الأسماء الحسنى من الناحية التصنيفية إلى أربعة أقسام هى :

١. أسماء الذات : وهى قاصرة على : " الهوية " بعينها ، ولا تتعلق بشئ سوى الله وحده سبحانه لا يماثلها ولا يتشبه بها أحد من الخلق ، فهى خاصة بالله تعالى خصوصية مطلقة ، فاسم " الله " هو أجل الأسماء وأخصها ، وهو يحوى جميع معانى "الألوهية" و " الربوبية " [٢] .

يقول زروق : كل الأسماء يصح لمعانيها التخلق إلا هذا الإسم فإنه للتعلق وكل الأسماء راجعه إليه ؛ فالمعرفة به معرفة بها ، وهو دال بصيغته على عظمة المسمى به ذاتاً وصفاتاً وأسماءً وما يجرى لذلك من أفعاله ، فالمعرفة به تفيد الغنى فيه للعارفين ، والتعظيم والإجلال والهيبة والأنس للمريدين [٣] .

٢. أسماء الصفات: وهى " لاهى هو ولا هى غيره ولا هى فيما بينها أغيار .

٣. أسماء الأفعال : وهى التى تشير إلى نوع من الفعل الإلهى مثل : " الخالق " و" الرازق " ونحوهما .

٤. أسماء التنزيه : وهى التى تدل على التنزيه المطلق للذات الإلهية مثل "القدوس"

– وثمة تقسيم آخر للأسماء يجعلها فرعين أثنين :

١. الأسماء الجامعة : وهى ما يشمل أسماً آخر أو أكثر أو يحوى معناه فنحن حين نقول " الملك " مثلاً نفهم معنى " القوى " و " القادر " وعندما نقول " الغافر " نربط الإسم بـــ " الرحيم " و " اللطيف " و " الودود " .

---

[١] أحمد زروق : شرح أسماء الله الحسنى (خصائصها – فوائدها – كيفية الدعاء بها) – تحقيق : أحمـــد مصطفى قاسم الطهطاوى – دار الفضيلة – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٩م – ص٢٧ .

[٢] على فهمى خشيم : أحمد زروق والزروقية – مرجع سابق – ص٢٢٢ .

[٣] أحمد زروق : شرح أسماء الله الحسنى – مصدرسابق – ص٣٢ .

٢. **الأسماء الإقتصارية: وهى ما يعنى التفرد ، مثل " الواحد " و " الأحد " و " الصمد " وغيرها .[١]**

والتقسيم الثالث يقوم على أساس أن الأسماء تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأسماء الجمالية ، والجلالية ، و الكمالية، فالأسماء الجمالية: هى المتعلقة باللطف والرحمة مثل المؤمن والسلام والودود ، والأسماء الجلالية : هى المتعلقة بالقهر والعزة والعظمة والسعة مثل القهار والجبار والمنتقم والمتكبر ، والأسماء الكمالية تشترك بين الجمال والجلال العدل والحكمة والواحد والأحد والقدوس والصمد. [٢]

والتقسيم الرابع ينبنى على أن ثمة :

١. **الأسماء المطلقة : وهى ما تدل على الذات الإلهية وحدها ، مثل " الله " و " الحق " أو ما كان مقصوراً عليها مثل " البارى " و " الخالق " .**
٢. **الأسماء المشتقة : وهى ما يشتق من أفعاله تعالى ، مثل " المصور " و " الموجد " و " الكريم .**

والتقسيم الخامس يجعل من الأسماء :

١. **الأسماء المتكاملة : وفيها نجد أسماً يكمل آخر مثل " الرحمن والرحيم " و " العظيم والكبير " والعفو والغافر " إلخ .**
٢. **الأسماء المتقابلة : مثل " المبدى والمعيد " و " المقدم والمؤخر " و " الرافع والخافض " و " الباسط والقابض " ونحوها .[٣]**

ويقدم زروق بالنسبة لأغراض الأسماء الحسنى وإستعمالها خمسة أهداف محدده عنده هى :

١. **العلم : إذ ينبغى أن نعرفها حتى نعرف الله من خلالها ، فإن من لا يعرف من يعبد ليس مؤمناً حقاً، لأنه جاهل والجهل يناقض الإيمان .**
٢. **الحفظ : فإن أسماء الله وسيلة للحماية من الأعداء والمصائب ، إما فى داخل الإنسان ، كالنفس وشهواتها ، أو خارجة مما يتعرض له فى حياته اليومية .**

([١])على فهمى خشيم : أحمد زروق والزروقية : مرجع سابق – ص٢٢٢ .

[٢] ممدوح الزوبى : معجم الصوفية – دار الجيل – بيروت – ط١ – ٢٠٠٤م – ص ٢٤٧.

[٣] على فهمى خشيم : أحمد زروق والزروقية – مرجع سابق – ص٢٢٢ .

٣. التعلّق : وذلك بفهم معنى الأسم والتوجه إلى الله بحسب هذا المعنى فعندما نعرف مثلاً إنه هو "المجيد" وجب علينا تمجيده ، أو " الرحيم " وجب طلب رحمته . وحين نعلم أنه " المنتقم " يجب أن نحذر غضبه وسخطه ، أو " الجبار " وجب علينا أن نخافه ونخشاه .

٤. التحقق والتخلق : وهذا ينطبق على موقفنا تجاه أنفسنا وتجاه الآخرين واللطف بهم ، وكذلك الحال فى " الودود " و " الغفور " و " الوهاب " و " الصبور " .

وإذا كان " التعلق " فى حقيقته هو موقف العبد أمام الله حيث لا شئ يعتبر حقاً ماعدا تمجيده تعالى ، فإن " التخلق " هو تأثر العبد بإسم الذات الإلهية حتى يفقد وعيه بغير كماله تعالى فى كل إسم ، وهو محاولته " تحقيق " صفاته عز وجل بالسلوك طبقاً لمعنى الإسم بطريقة مناسبة فى الظرف المناسب [١] .

٢. منهجه فى الصفات :

لا يختلف منهج زروق فى الصفات عما ذهب إليه السلف وأهل السنة والجماعة .

يقول زروق فى مقدمه كتابه (إغتنام الفوائد) : - " فتصحيح العقيدة بالإيضاح والبيان ، ثم تأييدها بالدليل والبرهان من أعظم مقاصد الإيمان ، و أكبر مفاتيح اليقين والعرفان ومقاليد الفوز بالجنة والنجاة من النيران وإنى رأيت الناس قد أطالوا فى ذلك وقصروا وبسطوا واختصروا فلم أرى مثل عقيدة حجة الإسلام ، لما إحتوت عليه من التحرير والإهتمام ، وما تضمنته من بيان الخاص والعام ، ودارت عليه من تمسك وإعتصام ، فقصدتها بالكلام والتنبيه لذلك ، والإرشاد والإفادة لما هنالك ، معولاً على فتح الكريم الوهاب، متحرياً به الحق والصواب حسبما ننقل من معادنه ويفتح الله به من خزائنه".[٢]

ويقسم " زروق " الصفات الإلهية إلى أربعة أقسام :

---

[١] على فهمى خشيم : أحمد زروق والزروقية – مرجع سابق – ص٢٢٤ .

[٢] أحمد زروق : إغتنام الفوائد فى شرح قواعد العقائد – تحقيق : محمد عبدالقادر نصار – دارة الكرز للنشر والتوزيع – القاهرة – ط١ – ٢٠١٠م – ص١٣ .

١. صفات الذات : وهى تنقسم إلى إثنين :

أ. الصفة النفسية : الوجود

يقول الشيخ " زروق " فى تعليقه على حكمة ابن عطاء الله السكندرى التى تنص على " دل وجود آثاره على وجود أسمائه ، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه ، وبوجود أوصافه على وجود ذاته ، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه " . أن الأوصاف تدل على الذات من جهة أنها لا تقوم بنفسها ، وعلى الأفعال بظهور آثارها ، فهى مصباح فى مشكاة الكون تظهر بها زجاجة الفعل كما يظهر بها وجود الفاعل بكمال أوصافه ، فتأمل ذلك وتعرف معانيه ومبانيه من قوله تعالى: " اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ "[١] تجد للمعرفة سراجاً وللتحقيق معراجاً وللسلوك منهاجاً وربك الفتاح العليم [٢]

ب .الصفات السلبية :

- **الوحدانية :**

يقول زروق إذا ثبت وجوده فهو واحد من جميع جهات الوحدانية : واحد فى ذاته لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يحل فى محل ؛ واحد فى صفاته لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شئ [٣]، واحد فى أفعاله لا يشاركه فيها شئ وقال إمام الحرمين : الواحد معناه المتوحد المتعالى عن الإنقسام .[٤]وقال إبن فورك : الواحد فى وصفه تعالى له ثلاثة معان ، ولفظه الواحد حقيقة فى جميعها .

أحدهما : أنه لا قسيم لذاته وأنه غير متبعض ولا متحيز .

الثانى : أنه لا تشبيه له ، يقول العرب : فلان واحد عصره ، أى لا شبيه له .

الثالث : أنه لا شريك له فى أفعاله ، قالوا : فلان متوحد بهذا الأمر أى ليس يشاركه فيه أحد ولا يعانده ، ودليل الوحدانية أنه لو كان إلهان فإما أن يقدر كل واحد منهما أن يمنع

---

[١] سورة النور : جزء من الآية (٣٥) .

[٢] أحمد زروق : إغتنام الفوائد فى شرح قواعد العقائد – مصدر سابق – ص٣٦ .

[٣] المصدر السابق – ص٤٠.

[٤]إمام الحرمين الجوينى : لمُع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة – تقديم وتحقيق : د. فوقيه حسين محمود راجع التحقيق : د. محمد الخضيرى – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة – ط١ – ١٩٦٥م – ص٨٦.

الآخر مما يريد ، أو يقدر أحدهما دون الآخر ، أو يتفقا ، والكل باطل للزوم جواز العجز منهما ، أو من أحدهما الشاهد بوجوب إنتفائهما ، إذ العاجز لا يكون إلهاً فمتى جاز العجز إنتفت الإلهية [١] لذلك قال الله تعالى " وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ "[٢]

وفى شرح لقول الإمام الغزالى (صمد لا ضد له) يقول زروق : الصمد الذى يصُمَد إليه فى الحوائج ، أى يتوجه إليه بذله وخضوع ، وإنما يتحقق ذلك بكونه لا ضد له ، لأنه لو كان له ضد تُرك ورجُعَ إليه ، (منفرد لا ند له) يقول زروق : لا معاند له فيكون فى الوصف والحكم مثله لو كان له ند لقابله ، ولو كان له ضد لغالبه ، ولو كان مثل لشابهه ، ولو كان له شريك لنازعه ، والرب منزه عن ذلك كله لما ثبت من كمال وصفه وإنفراده فى الإلهية ، بل هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .[٣]

- القدم

قال الشيخ زروق فى شرحه لقول الإمام الغزالى (واحد قديم لا أول له) يعنى أنه واحد فى ذاته لا ينقسم ولا يتجزأ ، فكلامه هنا على وحدانية الذات ، بدليل قرانِها بالقديم ، فهو تعالى واحد لا من واحد ولا إلى واحد ولا مع واحد ، كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان ، يعنى لا شئ معه فيما لا يزال، كما لم يكن معه شئ فى الأزل ، لأنه الذى لا مفتتح لوجوده[٤] .

- البقاء :

يقول زروق فى شرحه لقول الإمام الغزالى (مستمر الوجود لا أخر له) ، فلا يصح إنقطاع وجوده ولا إنتهاؤه لغاية لأن ما ثبت قدمه إستحال عدمه [٥] .

---

[١] أحمد زروق : إغتنام الفوائد فى شرح قواعد العقائد – مصدر سابق – ص٤٠-٤٢ .

[٢] سورة المؤمنون : جزء من الآية (١١٧) .

[٣] أحمد زروق : إغتنام الفوائد فى شرح قواعد العقائد – مصدر سابق – ص٤٣ .

[٤] أحمد زروق : إغتنام الفوائد فى شرح قواعد العقائد – مصدر سابق ص٤٣-٤٤ .

[٥] أحمد زروق : شرح عقيدة الإمام الغزالى – تحقيق: د. محمد عبد القادر نصار- قدم له : د.جوده محمد أبو اليزيد المهدى – دار الكرز.- القاهرة – طـــ١- ٢٠٠٧م. – ص ٤٣ .

- **القيام بالنفس :**

يقول زروق : أى قائم بنفسه وقائم بأمور خلقه ، والقيوم والقيام بمعنى واحد ، وقد وردا سنة والأول قرآناً .

قال الشيخ أبو إسحاق الأسفراينى : والقيام عند المتكلمين المستغنى عن المحل والمخصص ، وقال ابن عباس رضى الله عنه : القيوم الذى لا تفنيه الدهور ولا يغيره إنقلاب الأمور [١] .

٢. **صفات المعانى : وهى سبع ، الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام وهى معانى زائدة عن الذات .**

أ. **الحياة والقدرة : يقول الشيخ زروق القدرة هى الصفة المقتضية لإبراز الجائز المراد وجوده بدلاً من عدمه ، فدليلها الإبراز وفى شرحه لقول الإمام الغزالى (وأنه حى قادر جبار قاهر) يقول يعنى أن قدرته مشروطة بالحياة فلا يصح أن يكون قادراً من ليس بحى ، والحى غير القادر ناقص ، فقدرته دليل حياته ، وحياته شرط قدرته ، وكل منهما واجب لكماله [٢] .**

ب. **العلم : يقول زروق العلم يعنى ذكر ما يتعلق به من إثبات وتنزيه وغيره ، وفى شرحه لقول الإمام الغزالى (والله تعالى عالم بجميع المعلومات) . يقول يعنى من واجب وجائز ومستحيل فيعم الواجب من حيث وجوده وثبوته وأوصافه ومتعلقاته وغير ذلك ، والجائز كذلك من حيث جوازه وتقديره وإختصاصه بأحكامه وما يتعلق به نفياً وثبوتاً ، والمستحيل من حيث إستحالته وحكمه وما يترتب عليه أن لو قدر وقوعه ، كان عقلياً أو شرعياً أو عادياً كقوله تعالى " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا "[٣]**

وقوله تعالى " وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ "[٤] إلى غير ذك فيعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أنه لا يكون وان لو كان كيف يكون .[٥]

---

[١] المصدر السابق : ص ٤٣ .

[٢] المصدر السابق : ص ٥٨ .

[٣] سورة الأنبياء : جزء من الآية (٢٢) .

[٤] سورة الأنعام : جزء من الآية (٢٨) .

[٥] أحمد زروق : شرح عقيدة الإمام الغزالى – مصدر سابق – ص ٩٣ .

ج. **صفة الإرادة : يقول زروق الإرادة يعنى ذكر أحكامها وما يتعلق بها من إثبات وتنزيه وهى الصفة المقتضيه لتخصيص الجائزات وأحكامها وأوصافها وغير ذلك ، فدليلها التخصيص ، وفى قول الإمام الغزالى (وأنه مريد للكائنات مدبر للحادثات) ، يقول زروق يعنى أنه تعالى موصوف بالإرادة وتتعلق بالجائزات من حيث تخصيصها قبل وجودها تعلقاً صلاحياً ، وعند تخصيصها تعلقاً تنجيزياً ، تخصصت بوجود أو عدم ، لأن المعدوم وإن لم يكن شيئاً ينتقل عن الجواز بوجود مقابله فهو تخصيص له . وفى شرحه لقول الغزالى (وأن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته) ، يقول لا يصح نفيها ولا قيامها بغيره ، لأن وصف الذات على حكمها فى القدم وغيره، وما وصفت به لا يصح أن يكون قائماً بغيره ً [١] .**

د. **السمع والبصر : يقول زروق : السمع والبصر صفتان من صفاته المعنوية ثابتتان له تعالى كما يليق بوصفه تعالى ، ردهما بعضهم للعلم ولا يصح التقرب بهذين الإسمين : من جهه التعلق : بالمراقبة فى كل قول أو فعل ومن جهة التخلق : أن يكون سميعاً لما يؤمر به ، بصيراً بما يطلب منه وما يقع من أمر الله تعالى فيه ، حتى يكرمه مولاه بأن يكون له سمع وبصر ويد [٢] .**

هـ. صفة الكلام : يقول زروق : يعنى إثباته وتنزيهه وما يتعلق بذلك والكلام فيه ، وهو أصل تسمية هذا الفن بعلم الكلام ، وقد قال شيخنا أبوزيد عبدالرحمن المجدولى المعروف بالتونسى أحد المتصدرين بجامع القرويين من مدينة فاس فى علم الأصول فى عصره وعنه أخذ أكثر أهلها فى وقته : سمعت شيخنا أبا عبدالله الأبى رحمه الله يقول : أكثر ضلالات المعتزلة أو عمدتها فى ثلاث : الكلام والكسب والرؤية ، قلت : فبحسب هذا فيتعين على المبتدئ أن يفر من التوسع فى الكلام فى هذه الثلاث خوف الذلل ، وذلك بد إثبات ما يجب فيها بوجه واضح .[٣]

---

[١] المصدر السابق : ص ٩٨ .

[٢] أحمد زروق : شرح أسماء الله الحسنى – مصدر سابق – ص ٦٣ .

[٣] أحمد زروق : شرح عقيدة الإمام الغزالى – مصدر سابق – ص ١٩ .

٣. **الصفات المعنوية : وهى الألفاظ الدالة على معان قائمة بذات الله تعالى وهى سبع : كونه حياً ، عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً يقول زروق : ذهبت طائفة من الفلاسفة والباطنية إلى نفيها وقالوا : كل ما يجوز إطلاقة على الخلق لا يجوز إطلاقه على الخالق بالإثبات ، وجوزوه بالنفى حتى امتنع بعضهم عن تسميته ذاتاً وشيئاً وموجوداً ، وقالوا : لا نقول إنه موجود ، ولكن نقول إنه ليس بمعدوم ، ولا نقول إنه عالم ، ولكن نقول إنه ليس بجاهل ، وعلى هذا . وذهبت المعتزلة والفلاسفة والشيعة إلى أن صفاته عين ذاته وليس بمعان زائدة عليها ، فراراً من تعدد القدماء ، فقالوا : قادراً بلا قدرة زائدة على ذاته . غير أن المعتزلة قالوا : كلامه وإرادته زائدتان على ذاته، وزعموا أنهما حادثان قائمان بغيره ، وهو مردود بلزوم قدم الحادث وحدوث القديم .** [١]

٤. **صفات الأفعال : فالمراد بها الألفاظ الدالة على صدور أثر من الآثار عن قدرة الله تعالى ومنها ، الخالق والرازق والبارئ والمصور والمعز والمذل .... وما فى حكمها** [٢] .

٣. ما يتعلق بتنزيهه تعالى وأقسام الحكم العقلى :

التنزيه كما يقول زروق : يعنى التقديس والتطهير والترفيع والتعظيم والتحديد والتقدير ونحو ذلك من وجوه التنزيه الواجبه له تعالى ، وهو ثابت بالدليل النقلى والبرهان العقلى ، ولا يأتى الكلام فيه ولا فى شئ من المعقولات إلا بعد معرفة أحكام العقل وهى ثلاثة : الوجوب والجواز والإستحالة .

- **فالواجب : ما لا يصح نفى وجوده بضرورة العقل .**
- **والجائز : ما ليس نفيه بأولى من ثبوته ولا بالعكس .**
- **والمستحيل : ما لايصح إثباته ولا يتصور وجوده ، ثم هو على قسمين : محال لذاته ومحال لغيره ، وكذا الواجب والجائز**[٣] .

---

[١] أحمد زروق : إغتنام الفوائد فى شرح قواعد العقائد – مرجع سابق – ص ١٠٤ .

[٢] ناجى ميلاد على المربد : (الأسماء الإلهية فى فكر أحمد زروق ودلالاتها الفلسفية والصوفيه)– رسالة دكتوراه – جامعة المنصورة – ٢٠١٤م – ص١١٢ .

[٣] أحمد زروق : شرح عقيدة الإمام الغزالى – مصدر سابق – ص ٤٨ .

١. نفى الحد والجهه عنه تعالى :

يقول زروق فى شرحه لقول الإمام الغزالى (وأنه تعالى لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأفكار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه السموات) يعنى لأن التقدير والتحديد من صفات المحدثين ، وكذلك الدخول فى المتحيزات ، فما ذكره نفى للجهة والمكان والتقدير بالحد والآن ، بل ليس هو الوجود المطلق ولا عين الأشياء ولا الحروف ولا غير ذلك مما يتضمن صفات الخلق كالجهة والمكان ، فلا يقال هو فى مكان ولا فى كل مكان . وقالت الكرامية والمشبهة : هو فى مكان هو العرش ، تعالى الله عن قولهم .

وقالت النجارية : هو فى كل مكان .

وقالت المعتزلة : بالعلم لا بالذات .

وفى حكم ابن عطاء الله رضى الله عنه : " الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، إذ لو

حجبه شئ لستره ما حجبه ، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشئ فهو له قاهر " [١]

قال تعالى " وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ " [٢] .

٢. فى إستوائه تعالى على عرشه :

يقول زروق فى شرحه لقول الإمام الغزالى (وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذى قاله والمعنى الذى أراده ، إستواءً منزهاً عن المماسة والإستقرار والتمكن والحلول والإنتقال) يعنى أن ما ورد فى القرآن من قوله تعالى : " اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ "[٣] وقوله تعالى : " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى "[٤] نثبته وننزهه عن ظاهره ولا نخوض فى

---

[٤] أحمد زروق : إغتنام الفوائد فى شرح قواعد العقائد – مصدرسابق – ص ٥٨-٥٩ .

[٢] سورة الأنعام : جزء من الآية (١٨) .

[٣] سورة الأعراف : جزء من الآية (٥٤) .

[٤] سورة طه : آية (٥) .

[*] التنزيه: عبارة عن تبعيد الرب عن أوصاف البشر. انظر الجرجانى : معجم التعريفات – مرجع سابق – ص٦٠ –رقم(٥٤٩).

[**] التأويل : مشتق من الأول وهو فى اللغة الترجيع ، تقول أوله أليه رجّعه ، قال الجرجانى : التأويل فى الشرع " صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه موافقاً للكتـــاب=

تأويله بل نفوض له تعالى فى شأنه أما إثباته فلثبوته بنص القرآن وأما التنزيه[*] عن ظاهرة فلأنه مما تعارض فيه المعقول والمنقول فيقدم المعقول لأنه مقطوع به ويتأول[**] المنقول بما يحتمله من الوجه الصحيح فيه[١] .

وقد سئل الإمام الشافعى عن الإستواء فقال " آمنت بلا تشبيه ، وصدقت بلا تمثيل ، وإتهمت نفسى فى الإدراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك " وكذلك سئل الإمام أحمد عنه ، فقال " الأستواء كما أخبر لا كما يخطر للبشر "[٢] . وسئل ذو النون المصرى [*] عن قوله تعالى " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " فقال : أثبت ذاته ونفى مكانه ، فهو موجود بذاته ، والأشياء موجودة بحكمة ، كما شاء سبحانه .

وسئل الشبلى [*]عن قوله تعالى : " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " فقال : الرحمن لم يزل ، والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى ، وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى :

=والسنة مثل قوله تعالى يخرج الحى من الميت ، إن أراد به إخراج الطير من البيضه كان تفسيراً ، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً وقال ابن رشد : التأويل " إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل فى ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز من تسمية الشئ بشبيهه أو سببه ، أو لاحقه ، أو مقارنة ، أو غير ذلك من الأشياء التى عودت فى تعريف أصناف الكلام المجازى" ،والتأويل هو الطريقة المؤدية إلى رفع التعارض بين ظاهر الأقاويل وباطنها . انظر جميل صليبا : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية – الجزء الأول – دار الكتاب اللبناني – دمشق – ١٩٨٢م – ص ٢٣٤.

[١] أحمد زروق : إغتنام الفؤائد فى شرح قواعد العقائد – مصدر سابق – ص ٥٩ .

[٢] محمد رفاعى : التشبيه والتجسيم فى الفكر الكلامى الإسلامى رؤية تحليلية لأدلة المجسمة فى ضوء معتقد أهل السنة والجماعة – مجلة أوسولودين–ماليزيا–٢٠٠٩م – ص٢٦٨ .

[*] ذو النون المصري :هو ذو النون أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصرى الأخميمى ، مولى لقريش ، وكان أبوه نوبياً ، توفى سنة ٢٤٥هـ وقيل ٢٤٨ هـ . أنظر عبدالرحمن السلمى : الطبقات الصوفيه – تحقيق :د. أحمد الشرباصي – كتاب الشعب – القاهرة – ط٢ – ١٩٩٨م – ص ١٢ .

[*] الشبلي :هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى ، ويقال : بن جعفر ، ويقال : إسمه جعفر بن يونس ، وهو خراسانى الأصل ، بغدادى المولد والمنشأ . وأصله من أسروشنة ، ومولده كما قيل سامرا . صحب الجنيد ومن فى عصره من المشايخ ، وصار أوحد وقته حالاً وعلماً وكان عالماً فقيهاً على مذهب مالك ، وكتب الحديث ورواه . عاش سبعه وثمانين سنة ، ومات فى ذى الحجة سنة ٣٣٤ هـ ودفن فى مقبرة الحيزران . أنظر عبدالرحمن السلمى : الطبقات الصوفيه – مرجع سابق – ص ١١٥ .

"الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" فقال استوى علمه بكل شئ فليس شئ أقرب إليه من شئ وقال جعفر الصادق : من زعم أن الله فى شئ ، أو من شئ ، أو على شئ ، فقد أشرك ، إذ لو كان على شئ لكان محمولاً، ولو كان فى شئ لكل محصوراً ، ولو كان من شئ لكان محدثاً . [١]

٣. الكلام على الفوقية والقرب :

لقد شاع فى لغة العرب استخدام كلمة " فوق " فوقيه المرتبة والمنزلة ، يقال " الرئيس فوق الوزير " أو " العلم فوق العمل " ، لا يفهم منه عالم بأساليب اللغة العربية أن الرئيس فوق أكتاف الوزير بل فوقيه المنزلة ، وكذلك قول تعالى : " وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ " [٢] لا يقال : أن الله أطلع بعضهم فوق أكتاف الآخر ، بل الفوقيه المعنوية [٣] .

يقول زروق : يعنى فوق العرش فوقيه معنوية كما يقال : السلطان فوق الوزير والسيد فوق عبده ، والقاهر فوق المقهور ، " وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ " [٤] . فنسبه الفوقية له متساوية لكل موجود لأنها معنى ظهور القهر والإقتدار والجلال والعظمة ، فما فوق السموات العلى فى ذلك كما تحت الثرى لأن ما سوى ذلك حادث دال على الحدوث والموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه [٥] .

وفى شرحه لقول الإمام الغزالى (فوقيه لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء ولا إلى العرش والثرى) يقول فهو قريب غير محسوس ولا يتوهم بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه

رفيع الدرجات بالمعنى عن القرى ، لأن الكل يقتضى الجهة وهو تعالى منزه عن الجهات[٦]

---

[١] أبى القاسم القشيرى : الرسالة القشيرية فى علم التصوف – تحقيق : هانى الحاج– دار التوفيقية للطباعة – القاهرة – د.ت – ص ٥٠–٥١ .

[٢] سورة الزخرف : جزء من الآية (٣٢).

[٣] محمد رفاعى : التشبيه والتجسيم فى الفكر الكلامى الإسلامى – مرجع سابق – ص ٢٧٣ .

[٤] سورة الأنعام : جزء من الآية (١٨) .

[٥] أحمد زروق : إغتنام الفوائد فى شرح قواعد العقائد – مرجع سابق – ص ٦٢ .

[٦] المرجع السابق : ص ٦٢

٤. فى نفى الحلول والإتحاد عن الله تبارك وتعالى :

يقول زروق فى شرحه لقول الإمام الغزالى (وإنه لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ) ، يعنى أنه لا يصح فى وصفه تعالى أن يكون حالاً فى شئ ولا محلاً له ، لأن الحال فى الشئ محصور به والمحل له ظرف لوجوده وذلك عليه تعالى مُحال .[١]

٥. تنزهه تعالى عن المكان والزمان :

فالله سبحانه وتعالى منزه عن أن يوصف بالإستقرار على العرش ، تعالى على أن يحويه مكان كما تقدس على أن يحده زمان – أما تقدسه سبحانه وتعالى على المكان فللزوم سبق المكان على وجوده ، وذلك يدل على حدوثه كما لا يصح فى الحادث أن يصير قديماً ، ويلزم من إثبات المكان لله تعالى تعدد القدماء [٢] .

وهنا يروى الشيخ زروق قصة حتى يثبت بها أن الله تعالى منزه عن مكان يقول " سئل عن دليل أهل السنة فى إنه تعالى ليس فى مكان فقال : لقوله عليه الصلاة والسلام " لا تفضلونى على يونس بن متى "[٣] يعنى لأنه عليه الصلاة والسلام قال ليلة الإسراء " أنت كما أثنيت على نفسك " ويونس عليه السلام قال فى بطن الحوت " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " [٤] . فكل منهما خاطبه خطاب القريب الحاضر مع كون أحدهما تحت النجوم والآخر فوق كل شئ عال .[٥]

---

[١] أحمد زروق : شرح عقيدة الإمام الغزالى – مرجع سابق – ص٧١ .

[٢] محمد رفاعى : التشبيه والتجسيم فى الفكر الكلامى الإسلامى – مرجع سابق – ص ٢٧٨ .

[٣] حديث شريف : رواه الإمامان : البخارى (٣٢٣٢) ، ومسلم (٢٣٧٧) بلفظ : " ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى"

[٤] سورة الأنبياء : جزء من الآية (٨٧) .

[٥] أحمد زروق : إغتنام الفؤاد فى شرح قواعد العقائد – مرجع سابق – ص ٦٢ .

*** خاتمة :**

بعد الإنتهاء من دراسة الألهيات عند الشيخ أحمد زروق والتى تتمثل فى التوحيد بنوعيه: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، وأسماء الله وصفاته تبين للباحث أن الشيخ أحمد زروق عند حديثه عن التوحيد قام بالربط بين الألوهية والربوبية والعبودية وجعل كل منهم وقف على الأخرى.

كذلك يتضح من خلال هذا البحث أن أراء الشيخ أحمد زروق فى الأسماء والصفات قرية جداً من منهج أهل السنة والجماعة، فلقد ذهب مثلهم بالإقرار بالصفات كلها الواردة فى القرآن دون تشبيه أو تعطيل أو تأويل، واتفق معهم أيضاً فى أن أسماء الله وصفاته توقيفيه أى يتوقف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة.

وفى مسألة هل الأسم هو صفة اتفق الشيخ أحمد زروق مع أهل السنة وكذلك مع المذهب الأشعرى فى القول أن الاسم ليس هو الصفة بل أن كل اسم يشتمل على صفة ومعنى، ولكنه تعارض فى ذلك مع المعتزلة والتى ذهبت إلى أن الاسم هو الصفة وأن الأسماء أعلام لا أوصاف لها.

فهرس المصادر والمراجع

اولاً: المصادر

أ- القرآن الكريم.

ب- الأحاديث النبوية.

ج- مؤلفات الشيخ أحمد زروق .

١. اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد – تحقيق : د.محمد عبدالقادر نصار – دارة الكرز للنشر والتوزيع – القاهرة – ط١ – ٢٠١٠م.

٢. شرح أسماء الله الحسنى (خصائصها – فوائدها – كيفية الدعاء بها) – تحقيق : أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي – دار الفضيلة – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٩م.

٣. شرح الحكم العطائية – تحقيق أبو سهل نجاح عوض صيام – دار المقطم للنشر والتوزيع – القاهرة – ط١ – ٢٠١٥م.

٤. شرح عقيدة الإمام الغزالي – تحقيق: د. محمد عبد القادر نصار- قدم له : د.جوده محمد أبو اليزيد المهدى – دار الكرز.- القاهرة – طـ١- ٢٠٠٧م.

ثانياً:المراجع

١-المراجع العربية:

١. ابن القيم الجوزية (الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب) :مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وأياك نستعين – تحقيق : شعيب الأرناؤوط – مصطفى شيخ – مؤسسة الرسالة نا فتاح(د.عرفان عبدالحميد) : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها – دار الجيل – بيروت – ط١ – ١٩٩٣م.

٢. ابن الملقن(سراج الدين أبو حفص عمر بن علي) : طبقات الأولياء-تحقيق :نور الدين شريبه-مكتبة الخانجي -القاهرة-ط١-١٩٧٣م.

٣. ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – المجلد السادس – تحقيق : د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت-١٩٧٧م.

٤. بهجت(أحمد): الله في العقيدة الإسلامية – رسالة جديدة في التوحيد – مركز الأهرام للترجمة والنشر – القاهرة – ط٣ – ١٩٨٦م.
٥. الجامي (د.محمد أمان بن علي) : مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة – دار ابن رجب للطبع والنشر والتوزيع – المدينة المنورة – ط١– ١٩٩٣م.
٦. الجويني (إمام الحرمين أبو المعالي): لمُع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة – تقديم وتحقيق : د. فوقيه حسين محمود – راجع التحقيق : د. محمد الخضيري – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة – ط١ – ١٩٦٥م.
٧. خشيم (د.على فهمى):أحمد زروق والزروقية– دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة – دار المدار الإسلامي– بيروت – لبنان – طـ ٣ – ٢٠٠٢م.
٨. خليفة(حاجي): كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون – المجلد الأول – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – د.ت.
٩. الذهبي(الإمام شمس الدين) : سير أعلام النبلاء – ج١٣ – تحقيق د. شعيب الأرناؤوط ، د. على أبو زيد – مؤسسة الرسالة – بيروت – طـ١ – ١٩٨٣م.
١٠. رفاعي (محمد): التشبيه والتجسيم في الفكر الكلامي الإسلامي رؤية تحليلية لأدلة المجسمة في ضوء معتقد أهل السنة والجماعة – مجلة أوسولودين– ماليزيا–٢٠٠٩م.
١١. سعيد(عبدالرحمن محمد) : موسوعة أهل السنة في نقد أصول فرقة الأحباش ومن وافقهم في أصولهم – المجلد الأول – دار المسلم للنشر والتوزيع – الرياض – ط١ – ١٩٩٧م.
١٢. السُّلمى (أبو عبدالرحمن: الطبقات الصوفية – تحقيق :د. أحمد الشرباصي – كتاب الشعب – القاهرة – ط٢ – ١٩٩٨م.
١٣. الشافعي(أبو الحسن على الماوردي): أعلام النبوة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٦م.
١٤. شرون – بيروت – لبنان – ط١ – ٢٠١٠م.

١٥. الطوسي (أبو نصر السراج):اللّمُع – تحقيق : د.عبدالحليم محمود ،د.طه عبدالباقي– دار الكتب الحديثة – القاهرة – ١٩٦٠م .
١٦. عويس(منصور محمد): ابن تيميه ليس سلفياً – دار النهضة العربية – القاهرة – ط١ – ١٩٧٠م.
١٧. القشيري(أبى القاسم عبد الكريم بن هوزان النيسابوري): الرسالة القشيرية في علم التصوف – تحقيق : هاني الحاج– دار التوفيقية للطباعة – القاهرة – د.ت.

٢– المراجع الأجنبية

1- R.A.Nicholoson : Studies in Islamic Mysticism – Cambridge – press – 1921.

ثالثاً: المعاجم والموسوعات

١. الجرجاني(علي بن محمد السيد الشريف): معجم التعريفات – تحقيق محمد صديق المنشاوي – دار الفضيلة – القاهرة – ٢٠٠٤م.
٢. الزوبي(ممدوح) : معجم الصوفية – دار الجيل – بيروت – ط١ – ٢٠٠٤م.
٣. صليبا(د. جميل): المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية – الجزء الأول – دار الكتاب اللبناني – دمشق – ١٩٨٢م.
٤. العجم (د. رفيق): موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامى – مكتبة لبنان ناشرون– بيروت– لبنان– ط١– ١٩٩٩م.
٥. فالح(أبو عبد الله عامر عبد الله): معجم ألفاظ العقيدة – تقديم: فضيلة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن
بن جبرين – مكتبة العبيكان– الرياض – طـــ١ – ١٩٩٧م.

رابعاً: الرسائل العلمية

المربد(د. ناجى ميلاد على) : الأسماء الإلهية في فكر أحمد زروق ودلالتها الفلسفية والصوفية – رسالة دكتوراه – جامعة المنصورة – ٢٠١٤م.